أدب التخاطب

في

ضوء السنة النبوية

أصولٌ وضوابط

إعداد

د.علي بن عبد الله الصّياح

أستاذ الحديث وعلومه المشارك

قسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية- جامعة الملك سعود

مُقدّمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُهُ ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

وبعد:

فإنَّ التخاطب مع الناس فنٌّ وقلَّ من يبرع فيه[1]، وهو يحصل بأمرين: بالعلم، والعقل وبقدر النقص فيهما يكون النقص في أدب التخاطب، فحصول الأمرين هو الحكمة التي قال الله عنها ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وخطابك دليل على شخصيتك ومن أجمل العبارات التي قرأتها في ذلك قول الإمام الزاهد يحيى بن معاذ: ((القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها فانتظر الرجل حتى يتكلم فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه؛ من بين حلو وحامض، وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه اغترافُ لسانه))[٢].

والتخاطب حاجة ضرورية للمرء في يومه وليلته لا بدَّ له منه، ولذا كان على العاقل أن يتعلم من أدب التخاطب وفنونه ما يصل به إلى قلوب الناس مراعيا فقه الكلمة، وخطورة اللفظ، وحفظ المنطق، وكم من صداقات قامت بسبب حسن الأدب في التخاطب ، وبالمقابل كم من عداوات قامت بسبب سوء الأدب في التخاطب.

وأهم مصادر تعلم أدب التخاطب وأعلاها كتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ففيهما أصول وآداب التخاطب مما يحقق المحبة والمودة والإخاء في المجتمع المسلم.

والحق أني لما أخذت أقرأ في السنة النبوية متلمسا هذه الآداب..وجدت نفسي بين كنـــوز ثريـــة مغفول عنها من قبل كثير من المسلمين–للأسف!ـ..فأنت واجد في السنة النبوية:

–أدب التخاطب مع الكفار ..والمقاصد في ذلك!

–أدب التخاطب مع النساء ..والضوابط في ذلك!

–أدب التخاطب مع الصغار ..والمناحي التربوية في ذلك!

---

(١)ولذا أصبحت تقام له دورات تدريبية على مستوى العالم برسوم مالية وأحيانا تكون مرتفعة السعر!!.

(٢)حلية الأولياء(٢٧٥/٤) وانظر تعليق ابن القيم على كلام يحيى هذا في "الجواب الكافي" (ص٣٧٩)، ولمعرفة ســيرة يحيى بن معاذ ينظر حلية الأولياء –الموضع السابق–، وسير أعلام النبلاء (١٥/١٣).

-أدب التخاطب مع عموم الناس مع اختلاف طبائعهم وطرق تفكيرهم ....!

-أبرز الألفاظ والأساليب النبوية في التخاطب مع الآخرين....ومراعاة الأحوال والمناسبات.

ومع المقارنة بين ما تقدم وبين حال الناس الآن يظهر للمتأمل أنّ هناك بعدا من قبل كثير من الخاصة فضلا عن العامة[١] في التحلي بهذه الآداب وأن هناك ضرورة لنشر مثل هذه الآداب المستمدة من السنة النبوية[٢]..وإقامة دورات تدريبية لمثل هذه الآداب الاجتماعية الرائعة.

وإنّ الغفلة عن إبراز هذه الجوانب من خلال السنة النبوية سوف تجعل كثيرا من الناس يهرع إلى العلوم الغربية طلبا لهذه المعارف والآداب!.

وكل من أنصف علم أنه لا يوجد في ثقافة من الثقافات القائمة الآن من يعنى بهذه الجوانب الاجتماعية مثل عناية الدين الإسلامي من خلال المصدرين الأصليين :الكتاب والسنة.

ولما تقدم رأيت أهمية الكتابة في هذا الموضوع بهذا البحث الموسوم ب(أدب التخاطب في ضوء السنة النبوية -أصول وضوابط-) والذي يتكون من:

- المُقَدّمة -وهي هذه-.

-تمهيد وفيه: معنى التخاطب وعناية السلف بهذا الأدب في مؤلفاتهم الحديثية.

-أصول وضوابط في أدب التخاطب من خلال السنة النبوية، وفيه عدة مباحث:

المبحث الأوّل: بدء المخاطبة والكلام بالسلام

المبحث الثاني:لين الكلام وطيبه وانتقاء الألفاظ والجمل الحسنة عند مخاطبة الناس

المبحث الثالث: اجتناب الكلام الفاحش والألفاظ السيئة

المبحث الرابع: استشعار مسؤولية الكلمة وخطورتها

المبحث الخامس: مراعاة المخاطبين

المبحث السادس:مراعاة أسلوب عرض الخطاب

- الخاتمةُ: وفيها أبرزُ نتائجِ البحث، وتوصيات مقترحة.

- الفهارس المتنوعة.

---

(١)يظهر هذا من المجادلات والحوارات بأنواعها المرئية والمسموعة والمكتوبة!!.

(٢)وأنبه هنا أنّ القرآن الكريم عني بهذا الجانب العظيم في العلاقات الاجتماعية ومن أحسن من أبرز عناية القرآن بالكلام وآدابه كتاب " "فقه الكلمة ومسئوليتها في القرآن والسنة" لمحمد عوض-ويأتي الكلام عليه- ولكن نظرا لأنّ حدود بحثنا هنا السنة النبوية فقط لم أتطرق لهذه الآداب من القرآن الكريم.

وبعدُ فهذا "جهدُ المقل والقدر الذي واتاه { وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}(الطلاق: ٧)، وإليه سبحانه وتعالى السؤال أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، مقتضيا لرضاه، وأن لا يجعل العلم حجة على كاتبه في دنياه وأخراه، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[١].

****

(١) مقتبس من مقدمة العلائيّ لكتابه "نظم الفرائد لما تضمنه حَدِيث ذي اليدين من الفوائد" (ص٣٦).

تمهيد

وفيه معنى التخاطب وعناية المؤلفين في الحديث النبوي بأدب التخاطب في مؤلفاتهم الحديثية

-معنى التَّخَاطُب:

التَّخَاطُب مصدر خَطَبَ يَخْطُبُ مخاطبةً وتخاطبا قال الراغب : ((والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام، ومنه: الخطبة والخطبة لكن الخطبة تختص بالموعظة، والخطبة بطلب المرأة قال تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ [البقرة:٢٣٥]، وأصل الخطبة: الحالة التي عليها الإنسان إذا خطب نحو الجلسة والقعدة، ويقال من الخطبة: خاطب وخطيب، ومن الخطبة خاطب لا غير، والفعل منهما خطب. والخطب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب، قال تعالى: ﴿فما خطبك يا سامري﴾ [طه:٩٥]، ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ [الذاريات:٣١]، وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب))[١].

- عناية المؤلفين في الحديث النبوي بأدب التخاطب في مؤلفاتهم الحديثية:

إنّ نظرة في كتب السنة والحديث لتبين بوضوح عناية الأئمة والعلماء بهذا الأدب الرفيع، وبيانه للناس ، والغالب أنّ الأئمة يذكرون أدب التخاطب وما يتعلق به في كتاب يعقدونه بعنوان "كتاب الأدب" أو كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ، أو كتاب السلام.

ففي أصح كتاب بعد كتاب الله "صحيح البخاري" نجد أنّ كتاب الأدب حوى:

- "باب طِيبِ الكلام "
- "بَاب مَا يُنْهَى مِنْ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ"
- بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ ذِكْرِ النَّاسِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ الطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ.
- بَاب الْغِيبَةِ
- بَاب النَّمِيمَةُ مِنْ الْكَبَائِرِ
- بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّمَادُحِ
- بَاب مَنْ لَمْ يُوَاجِهْ النَّاسَ بِالْعِتَابِ
- بَاب قَوْلِ الرَّجُلِ مَرْحَبًا
- بَاب قَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ اخْسَأْ

وغيرها من الأبواب التي تتضمن آدابا راقية في أدب التخاطب..وقد تفنن الإمام البخاري في كتابه "الأدب المفرد" في وضع تراجم رائعة تتعلق بأدب التخاطب يغفل عنها كثير من الناس منها:

---

(١)معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص١٥٢).

- باب لا يسمي الرجل أباه ، ولا يجلس قبله ، ولا يمشي أمامه

- باب : هل يكني أباه ؟

- باب لا تقل : قبح الله وجهه

باب يبدأ الكبير بالكلام والسؤال

باب إذا لم يتكلم الكبير هل للأصغر أن يتكلم ؟

باب إن السلام يجزئ من الصرم

باب قول الرجل : إني كسلان

باب قول الرجل : يا بني ، لمن أبوه لم يدرك الإسلام

وغيرها كثير.

وكذلك الإمام مسلم بن الحجاج في كتابه الصحيح عقد كتابا "للسلام"، وكتابا بعنوان " كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ"، وكذلك كتابا بعنوان " كِتَاب الْأَلْفَاظِ من الأَدَبِ وَغَيْرِهَا" ذكر فيه جملة من الألفاظ المنهي عن التلفظ بها.

وكذلك الحال في بقية كتب السنة والحديث..بل ألفت كتب مفردة في العناية بجوانب من آداب المخاطبة مثل كتاب "الصمت وآداب اللسان" لابن أبي الدنيا.

والحديث عن عناية السلف بهذا الأدب يحتاج إلى توسع ليس هذا محله، بل ربما الإشارة فقط إلى هذا الجانب يستوعب البحث كاملا! فلعل ما تقدم يفتح الطريق لدراسة علمية معمقة عن هذا الجانب عند المحدثين يتم من خلالها استقراء الكتب والنظر في التراجم والتبويبات ومن ثم الخروج بنتائج دقيقة ومؤصلة لهذا الأدب من كتب الحديث النبوي.

وأما جهود المعاصرين في بيان أدب التخاطب فقد تنوعت نظرا لتنوع وسائل المعارف وتبليغ العلم في العصر الحديث واتخذت عدة طرق فمنها:

-الكتب والبحوث والمقالات المقروءة، فنجد أنّ هناك كتبا متنوعة الجوانب ألفت في بيان أدب التخاطب منها كتاب "أدب التخاطب" لمصطفى العدوي [(١)]، وكتاب "فقه الكلمة ومسئوليتها في القرآن والسنة" لمحمد عوض[(٢)]، ورسالة علمية بعنوان "آفات اللسان كما وردت في الكتب الستة من

---

(١)الناشر دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤٢٠، السعودية، وقد عني بجمع ما ورد في هذا الباب من القرآن الكريم ومن السنة النبوية، والكتاب فيه جهد في الجمع يشكر عليه المؤلف-وفقه الله- ولكن ينقصه-في رأيي- الدقة في الترتيب وحسن العرض.

(٢)الناشر دار الأنصار، ط١، ١٣٩٩، مصر.وهذا الكتاب يغلب عليه العناية بهذا الأدب من القرآن الكريم فقد تحدث عن هذا الأدب من خلال السنة في ست صفحات فقط من ١٩٥ صفحة وكان من الأولى في نظري تغيير العنوان حتى يوافق واقع الكتاب!.

حديث سيد الأنام" لمحمد بابكر[١]، وكتاب "معجم المناهي اللفظية" لبكر أبوزيد[٢].

- الوسائط التعليمية أو ما يسمى بالملتميديا : وذلك من خلال وسائل الإعلام الحديثة من أشرطة وبرامج مرئية وهذه كثيرة ومتنوعة، وليس هذا موضع ذكرها واستقصائها.

وللمزيد من الاطلاع على هذه الجهود يمكن مراجعة هذا الرابط على الشبكة العالمية :

http://www.heartsactions.com/ref/bto.htm

وخلال بحثي عن دراسات سابقة في هذا الموضوع لفت نظري قلة البحوث الأكاديمية في "عناية السنة النبوية بأدب التخاطب والكلام " وما يتعلق به من مباحث بالرغم من أنّ السنة النبوية-المصدر الثاني للتشريع- تحوي كنوزا ثرية في هذا الباب والغفلة عنها قد تورث جفاء في الطبع، وسوءا في الخُلق، ونقصا في المحبة والمودة وهذه من أكبر عوامل التفكك في المجتمع المسلم، وكثير من هذه المظاهر نراها في واقعنا المعاصر من قبل كثير من الناس بل ومن بعض الخاصة والله المستعان!.

****

(١)رسالة ما جستير في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان، و لم أطلع عليها ولكن العنوان يبين منه أنها تتعلق بنوع من أدب التخاطب، والله أعلم.انظر "المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف (٧١٨/٢ رقم٢٦٧٢).

(٢)دار العاصمة، ١٩٩٦، ط٣، السعودية.

غير خاف أنّ هذا الموضوع من السعة والتشعب بمكان ولذا كان التفصيل فيــه والخــوض في دقائقه وتفريعاته لا يناسب هذا البحث المبني على الدقة والإيجاز، ومن هنا بدا لي أن أذكــر أصــولا وضوابط ووسائل ترجع إليها مقاصد السنة النبوية في باب أدب التخاطب مع الإشارة إلى أهمية هــذا الأصل وما يدخل تحته من مسائل ومباحث وأنواع وذكر ما يتيسر من أمثلة وأدلة تدل عليه من غــير توسع.

المبحث الأوّل

بدء المخاطبة والكلام بالسلام

من تأمل في السنة النبوية رأى أن هناك عناية خاصة بموضوع السلام والحث على إفشائه، ومن هنا عني أئمة الحديث بهذا الأدب فعقدوا كتبا وأبوابا عديدة لبيان الأحاديث الواردة في السلام؛ وممــن عقد كتابا خاصا للسلام الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه، والإمام مالك بن أنس في الموطأ، وقــد ذكر الإمام البخاري في صحيحه كثيرا من مباحث الســلام في كتــاب "الاســتئذان" وكــذلك في كتابه"الأدب المفرد" وكذلك الإمام أبو داود في سننه ذكر في كتاب الأدب "أبواب السلام" وكــذلك بقية أصحاب الكتب الحديثية نثروا أحاديث السلام في أبواب متفرقة من كتبهم.

وقد أحصى الدكتور: عبدالعزيز الجاسم في بحثه الموسوم بــــ"الســلام وأهميتــه في الســنة النبوية"[(١)]، الأحاديث الصحيحة والحسنة الواردة في السلام فبلغت أربعين حديثا، ولابن القيم في كتابه النفيس"زاد المعاد"[(٢)]، فصولٌ نفيسة تتعلق بالسلام وأحكامه كاد أن يستوعب الأحاديث الــواردة في السلام بسياق جميل أخاذ لا يمل من قرأه، وقال الإمام النووي في كتابه "الأذكار "واعلــم أن أصــل السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وأما أفراد مسائله وفروعه فأكثر من أن تحصر ، وأنا أختصــر مقاصده في أبواب يسيرة إن شاء الله تعالى"[(٣)]، ثم ساق هذه الأبواب.

فمن الأحاديث العظيمة الواردة في هذا الأصل:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تدخلوا الجنــة

---

(١)نشر في مجلة البحوث الإسلامية، العدد رقم (٥٩) عام ١٤٢٠هــ.

(٢)زاد المعاد (٢/٤٠٦-٤٢٨).

(٣)الأذكار (ص٢٥٥)

حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحـــاببتم؟ أفشـــوا السلام بينكم »[1].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما خلق الله تعالى آدم صلى الله عليه وسلم قال: اذهب فسلم على أولئك - نفرٍ من الملائكة جلوس - فاســـتمع مـــا يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله[2] .

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليـــه وسلم: أي الإسلام خيرٌ ؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على مـــن عرفـــت ومـــن لم تعرف[3]، .

٤- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبعٍ: بعيـــادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم[4].

وأنبه أنه ستأتي في البحث أحاديث أخرى في السلام ولكن لاستنباط دلالات متنوعة تتعلق بأدب التخاطب.

وفي النصوص المتقدمة فوائد عديدة منها:

- أنّ السلام من محاسن الإسلام فإن كل واحد من المتلاقيين يدعو للآخر بالسلامة من الآفات والشرور وبالرحمة والبركة الجالبة لكل خير ويتبع ذلك من البشاشـــة وألفاظ التحية المناسبة ما يوجب التآلف والمحبة ويزيل الوحشة والتقاطع[5] .

---

(١)أخرجه: مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (رقم :١٩٤).

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب الاستئذان، بَاب بَدْءِ السَّلَامِ (رقم ٦٢٢٧)، ومسلم، كتاب الجنة ، بَاب يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ (رقم ٧١٦٣).

(٣)أخرجه: البخاري، كتاب الاستئذان ، بَاب السَّلَامِ لِلْمَعْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمَعْرِفَةِ (رقم ٦٢٣٦)، ومسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام (رقم ١٦٠).

(٤)أخرجه: البخاري كتاب الاستئذان ، ، بَاب إِفْشَاءِ السَّلَامِ (رقم ٦٢٣٥) وهذا لفظه، ومسلم، كتاب اللباس والزينة ، بَاب تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ (رقم ٥٣٨٨).

(٥) انظر: بهجة قلوب الأبرار (ص ١١٣).

- أن يبدأ المسلم أخاه عند اللقاء والكلام بالسلام، فهي التحية العظيمة للمسلمين في الدنيا والآخرة، وأنها أولى من التحيات الأخرى التي انتشرت بين المسلمين مثل "صباح الخير"، و"أهلا وسهلا" فضلا عن التحية باللغات الأجنبية..نعم إذا بدأ بالسلام فلا مانع أن يعقبه بما شاء من هذه الألفاظ والتراحيب.
- أن إفشاء السلام ونشره من موجبات دخول الجنة.
- أنها علامة على تواضع المسلم ولينه وحسن خلقه.

****

المبحث الثاني

لين الكلام وطيبه وانتقاء الألفاظ والجمل الحسنة عند مخاطبة الناس

ويدخل تحت هذا الأصل كل كلام حسن طيب ، كما أمر الله عزوجل في قوله﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ **[البقرة:٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء:٥٣].**

قال ابن القيم:" كَانَ يَتَخَيّرُ فِي خِطَابِهِ وَيَخْتَارُ لِأُمّتِهِ أَحْسَنَ الْأَلْفَاظِ وَأَجْمَلَهَا ، وَأَلْطَفَهَا ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفُحْشِ"[١]. وقال أيضا : ((وَأَصْلُ هَذَا الْبَاب : قَوْله تَعَالَى : { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ } فَالشَّيْطَانُ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إذَا كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِغَيْرِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَرُبَّ حَرْبٍ وَقُودُهَا جُثَثٌ وَهَامٌ ، أَهَاجَهَا الْقَبِيحُ مِنْ الْكَلَامِ))[٢] .

فمن الأحاديث العظيمة الواردة في هذا الأصل:

١. عن عدي بن حاتمٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ [٣].

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والكلمة الطيبة صدقةٌ[٤].

٣. عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا طيرة[٥] وخيرها الفأل قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم[٦].

٤. عن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعا : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا

---

(١)زاد المعاد (٣٥٢/٢).

(٢)الطرق الحكمية (ص ٤٣).

(٣)أخرجه: البخاري، كتاب الأدب، بَاب طِيبِ الْكَلَامِ (رقم ٦٠٢٣)، ومسلم،كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة (رقم ٢٣٤٩).

(٤)أخرجه: البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَاب فَضْلِ من حَمَلَ مَتَاعَ صَاحِبِهِ في السَّفَرِ (رقم ٢٨٩١)، ومسلم،كتاب الزكاة، بَاب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ على كل نَوْعٍ من الْمَعْرُوفِ (رقم ٢٣٣٥)، وهو جزء من حديث طويل.

(٥)الطيرة:-بكسر المهملة وفتح التحتانية وقد تسكن- هي التشاؤم، وهو مصدر تطير مثل تحير حيرة. فتح الباري (٢١٢/١٠)

(٦)أخرجه: البخاري، كتاب الطب، بَاب الفأل (رقم ٥٧٥٥)، ومسلم،كتاب السلام، بَاب الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وما يَكُونُ فيه من الشُّؤْمِ (رقم ٥٧٩٨).

أو ليصمت[1]»

٥. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من صنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء »[2] .

ففي هذه النصوص جملة من الفوائد منها:

- أنّ الأصل في الكلام ومخاطبة جميع الناس أن يكون بكلام حسن طيب.
- يدخل في الكلام الحسن: الصدق والعدل في القول، وبذل السلام، وتشميت العاطس، والنصيحة برفق، ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلموغيرها كثير مما لا يمكن حصره مما دلت على أفراده أحاديث كثيرة مشهورة في كتب الحديث لا يتسع المقام لذكرها.
- للكلمة الطيبة أثر كبير في نشر المحبة والمودة في المجتمع؛ يقول سيد قطب : (({ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن } على وجه الإطلاق وفي كل مجال . فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه : بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة . فالشيطان يترغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، وبالرد السيئ يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء . والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب ، تندّي جفافها ، وتجمعها على الود الكريم . { إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبينا } . . يتلمس سقطات فمه وعثرات لسانه ، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه. والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق ، وتحفظ حرم الأخوة آمناً من نزغاته ونفثاته))[3].
- أنّ المتكلم بكلام طيب مثل المتصدق بالمال.
- يحسن بالمسلم أن يعود لسانه الكلام الحسن كي يكون عادة له وسجية.

يبقى أن ننظر هل راعى المسلمون في خطابهم وكلامهم هذا الأصل العظيم؟
وهل فكّر المسلم بأثر الكلمة التي سوف يتلفظ بها ؟

---

(١)أخرجه: البخاري، كتاب الرقاق، بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ (رقم ٦٤٧٥)، ومسلم،كتاب الإيمان، بَاب الْحَثِّ على إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إلا عن الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذلك كُلِّهِ من الْإِيمَانِ(رقم ١٧٣).

(٢)أخرجه: الترمذي، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَاب مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ بِالْمَعْرُوفِ (رقم ٢٠٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح.وقد وردت بمعناه أحاديث عديدة ينظر الترغيب والترهيب للمنذري، الترغيب في شكر المعروف ومكافأة فاعله والدعاء له وما جاء فيمن لم يشكر ما أولي إليه (٢/ ٤٤).

(٣)في ظلال القرآن - (٤/ ٢٢٣٤)

وهل راعى الخاصة من أهل العلم في محاوراتهم ومناقشاتهم العلمية هذا الأدب النبوي الرفيع؟ كم نرى من بعض الخاصة من يتهجم على أخيه ويشنع عليه بألفاظ لا يليق رميها على آحاد الناس فضلا عن أهل العلم والفضل من أجل خلاف حول مسألة علمية قابلة للاجتهاد والأخذ والرد، فأين هؤلاء عن هذا الهدي النبوي الشريف؟!.

****

المبحث الثالث

اجتناب الكلام الفاحش والألفاظ السيئة

ويدخل تحت هذا الأصل النهي عن الكذب، والقذف، والسب واللعن والشتم والغيبة والنميمة، والسخرية من الآخرين، والتشدق في الكلام وتكلف السجع، والألفاظ المنهي عنها، والعبارات الموهمة المجملة التي تحتمل حقا وباطلا، واجتناب الكلمات والألفاظ الأعجمية، وتسمية الأشخاص عند نقدهم من غير حاجة ضرورية، وأشد من ذلك كله تكفير المسلم ورميه بالنفاق.

قال ابن القيم :((والأقوال التي ذمها الله في كتابه أكثر من أن تعد كالقول الخبيث ، والقول الباطل ، والقول عليه بما لا يعلم القائل ، والكذب ، والافتراء ، والغيبة ، والتنابز بالألقاب ، والتناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتبييت ما لا يرضى من القول ، وقول العبد بلسانه ما ليس في قلبه ، وقوله ما لا يفعله ، وقول اللغو ، وقول ما لم يترل الله به سلطاناً ، والقول المتضمن للشفاعة السيئة ، والقول المتضمن للمعاونة على الإثم والعدوان ، وأمثال ذلك من الأقوال المسخوطة والمبغوضة للرب تعالى التي كلها قبيحة لا حسن فيها ولا أحسن))[1].

فمن الأحاديث العظيمة الواردة في هذا الأصل:

(١) عن أَنَسٍ قال: ((لم يَكُنْ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا ولا لَعَّانًا ولا سَبَّابًا كان يقول عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: ما له تَرِبَ جَبِينُهُ[2])).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبُثَتْ نَفْسي ، وَلكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسي))[3].

(٣) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا قال الرجلُ: هلك الناس فهو أهلكهم))[4].

(٤) عن مَسْرُوقٍ قال: قالت عَائِشَةُ– رضي الله عنها – : ((صَنَعَ النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١)السماع لابن القيم (ص٢٠).

(٢)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب مَا يُنْهَى مِنْ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ (رقم٦٠٤٦)

(٣)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب لَا يَقُلْ خَبُثَتْ نَفْسِي (رقم٦١٧٩)واللفظ له، ومسلم، كتاب الْأَلْفَاظِ من الأَدَبِ وَغَيْرِهَا ، بَاب كَرَاهَةِ قَوْلِ الْإِنْسَانِ خَبُثَتْ نَفْسِي (رقم٥٨٧٨).

(٤)أخرجه: مسلم، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب النَّهْيِ من قَوْلِ هَلَكَ الناس (رقم٦٦٨٣).قال ابن الأثير: ((فهو أهلكهم يروى بفتح الكاف وضمها :فمن فتحها كانت فعلا ماضيا، ومعناه أن الغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله يقولون: هلك الناس أي استوجبوا النار بسوء أعمالهم فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبه لهم لا الله تعالى أو هو الذي لما قال لهم ذلك وآيسهم حملهم على ترك الطاعة والانهماك في المعاصي فهو الذي أوقعهم في الهلاك، وأما الضم فمعناه: أنه إذا قال لهم ذلك فهو أهلكهم أي أكثرهم هلاكا وهو الرجل يولع بعيب الناس ويذهب بنفسه عجبا ويرى له عليهم فضلا)). النهاية في غريب الأثر (٥/٢٦٨).

شيئا فَرَخَّصَ فيه فَتَنَزَّهَ عنه قَوْمٌ فَبَلَغَ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قال: ما بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عن الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إني لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً))[١].

(٥) عن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَيُّمَا امْرِئٍ قال لِأَخِيهِ يا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بها أَحَدُهُمَا إن كان كما قال وَإِلَّا رَجَعَتْ عليه))[٢].

(٦) عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر))[٣].

(٧) عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ قال: بَيْنَمَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ من الْأَنْصَارِ على نَاقَةٍ فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا فَسَمِعَ ذلك رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال : ((خُذُوا ما عليها وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ)). قال عِمْرَانُ :فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي في الناس ما يَعْرِضُ لها أَحَدٌ[٤].

ففي هذه النصوص جملة من الفوائد منها:

- عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتربية أمته على اختيار الألفاظ الحسنة الطيبة، واجتناب الألفاظ القبيحة والسيئة، قال ابن القيم –تعليقا على الحديث رقم (٢)-" نَهَى أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : خَبُثَتْ نَفْسِي ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسِي ، سَدًّا لِذَرِيعَةِ اعْتِيَادِ اللِّسَانِ لِلْكَلَامِ الْفَاحِشِ ، وَسَدًّا لِذَرِيعَةِ اتِّصَافِ النَّفْسِ بِمَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ ؛ فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَقَاضَى مَعَانِيهَا وَتَطْلُبُهَا بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، وَلِهَذَا قَلَّ مَنْ تَجِدُهُ يَعْتَادُ لَفْظًا إلَّا وَمَعْنَاهُ غَالِبٌ عَلَيْهِ ، فَسَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَرِيعَةَ الْخُبْثِ لَفْظًا وَمَعْنًى"[٥]، وقال أيضا : ((فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَفْظَ " الْخُبْثِ " لِبَشَاعَتِهِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إلَى الْعُدُولِ إلَى لَفْظٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ تَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ فِي الْمَنْطِقِ ، وَإِرْشَادًا إلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ ، وَهَجْرِ الْقَبِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ ، كَمَا أَرْشَدَهُمْ

---

(١)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب من لم يُوَاجِهْ الناس بِالْعِتَابِ (رقم٦١٠١)واللفظ له، ومسلم، كتاب الفضائل، بَاب عِلْمِهِ صلى الله عليه وسلم بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ (رقم٦١٠٩)

(٢)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب من أكفر أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كما قال (رقم٦١٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ من قال لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ يا كَافِرُ، واللفظ له (رقم٢١٦).

(٣)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب ما يُنْهَى من السِّبَابِ وَاللَّعْنِ (رقم٦٠٤٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ قَوْلِ النبي صلى الله عليه وسلم سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ (رقم٢٢١).

(٤)أخرجه: مسلم، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب النهى عن لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا (رقم٦٦٠٤).

(٥)إعلام الموقعين (٣ : ٣٦١).

إِلَى ذَلِكَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ))[1] .

- خطورة رمي الناس بما ليس فيهم وترتيب الوعيد الشديد على ذلك، وكذلك التعميم في الخطاب أو التسمية لغير الحاجة الضرورية.
- ويجتنب في الخطاب الكلمات التي تحمل معنى التهويل والتعظيم.
- الناس ينفرون من الشخص سليط اللسان ، أو الفظ الغليظ ، أو المتعصب المتنطع ، قال تعالى : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩]. وكلما كان المرء لين الحديث ، بعيداً عن الجدال ينتقي الكلمات اللطيفة والأجوبة الرفيقة ، ويقابل الإساءة بالإحسان كلما كان محبوباً مقبولاً لدى الآخرين .
- إنّ الأدب في الخطاب لا يقتصر على الإنسان بل يتعد إلى الحيوان فلا يجوز لعنه أو سبه فتأمل عناية الإسلام بضبط لسان المسلم والصرامة في ذلك..فأين نحن عن هذه الآداب العظيمة؟!

تنبيهان:

-تفنن أئمة الحديث في كتبهم في التعبير عن هذا الأصل من خلال الكتب والأبواب التي عقدوها في مصنفاتهم، فقد عقد الإمام مسلم بن الحجاج في كتابه الصحيح كتابا بعنوان "الْأَلْفَاظِ من الأَدَبِ وَغَيْرِهَا" ذكر فيه جملة من الألفاظ المنهي عن التلفظ بها، وكذلك الإمام أبو داود في سننه عقد بابا بعنوان "حفظ المنطق" وكذلك الإمام البيهقي في كتابيه "شعب الإيمان"[2]، و"الآداب"[3].

-للدكتور بكر أبوزيد كتاب كبير بعنوان "معجم المناهي اللفظية" عني فيه بجمع الألفاظ المنهي عنها وقد قال في مقدمة كتابه " فهذا بابٌ من التأليف جامع لجملة كبيرة من الألفاظ ، والمقولات ، والدائرة على الألسن قديماً ، وحديثاً ، المنهي عن التلفظ بها ؛ لذاتها ، أو لمتعلقاتها ، أو لمعنى من ورائها، كالتقييد بزمان ، أو مكان ، وما جرى مجرى ذلك من مدلولاتها"[4].

****

(١)الطرق الحكمية (ص ٤٣).

(٢) (٢٠١/١١).

(٣) (ص٤٢٥).

(٤)معجم المناهي اللفظية (ص٣)، قلت: وربما لا يوافق الشيخ –وفقه الله وبارك في عمره–في بعض ما ذكره دون أن يتعقبه ولكن تبقى وجهات نظر قابلة للأخذ والرد والاجتهاد.

المبحث الرابع

استشعار مسؤولية الكلمة وخطورها

وردت أحاديث كثيرة تبين خطورة الكلمة وأهمية أن يراقب المسلم ألفاظه وكلماته وفي هذا تربية عملية للمسلم أن يتنبه لخطابه مع الآخرين وأن يزن كلامه وعباراته.

فمن الأحاديث العظيمة الواردة في هذا الأصل:

١- وعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ ما فيها يهوى بها في النَّارِ أَبْعَدَ ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ))(١).

٢- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ،وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم))(٢) .

٣- وعن سَهْلِ بن سَعْدٍ عن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : ((من يَضْمَنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ له الْجَنَّةَ))(٣).

٤- وعن جندب بن عبد الله أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَ أَنَّ رَجُلا قال: والله لا يَغْفِرُ الله لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قال: من ذَا الذي يَتَأَلَّى عليّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ فَإِنِّي قد غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَك(٤).

وفي النصوص المتقدمة فوائد عديدة منها:

-أنّ جميع ما يتكلم به المرء مسجل عليه ومحفوظ حتى ((الكلام المباح)) -على الصحيح من قولي العلماء-لعموم قول الله – تعالى – : {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [قّ:١٨] فيكتب الملكان كل ما ينطق به الإنسان ، وأما النية الباعثة له ، فلا اطلاع لهما عليها، فالله يتولاها . والله أعلم .

-أن أعظم البلاء على العبد في الدنيا اللسان والفرج فمن وقي من شرهما فقد وقي أعظم الشر.

-أن على من أراد النطق بكلمة أن يتدبرها بنفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحة تكلم بها وإلاَّ

---

(١)أخرجه: البخاري، كتاب الرقاق، بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ (رقم ٦٤٧٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حفظ اللسان (رقم٧٤٨٢).

(٢)أخرجه: البخاري، كتاب الرقاق، بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ (رقم ٦٤٧٨).

(٣)أخرجه: البخاري، كتاب الرقاق، بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ (رقم ٦٤٧٤).

(٤)أخرجه: مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَاب النَّهْيِ عن تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ من رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى (رقم٦٦٨١).

أمسك[1]، ومن جميل كلام ابن القيم قوله:((وأما اللَّفظاتُ؛ فحفظها بأن لا يخرج لفظه ضائعة؛ بأن لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربحَ والزيادةَ في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر: هل فيها ربحٌ أو فائدةٌ أم لا ؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربحٌ نظر: هل تفوتُ بها كلمة هي أربح منها فلا يضيعها بهذه؟))[2].

-أنه ربما أقترن بالكلمة من الصدق والإخلاص والصفا وحسن النية ما يجعلها سببا –على قلتها– للمغفرة والرضوان، والعكس كذلك[3].

-خطورة التعالي على الناس في الخطاب والتكبر والتجبر وعدم احتقار المسلم مهما كان ومهما عمل.

- عدم الحكم على الناس بالجنة أو النار إلا ما دل الدليل عليه.

تنبيهان:

١- للسلف في هذا الباب آثار عجيبة وأخبار جميلة تدل على قوة تمسكهم بهذا الأدب النبوي الرفيع من ذلك قول شداد بن أوس:((مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إلا وَأَنَا أَخْطِمُهَا وَأَزُمُّهَا))[٤]، وقال ابنُ دقيق العيد:((ما تكلمتُ بكلمةٍ ولا فعلتُ فعلاً إلا أعددتُ لذلك جواباً بين يدي الله تعالى))[٥]. وإذا أردتَ المزيدَ من أخبار السلف في هذا الباب فراجع كتاب "الصمت" لابنِ أبي الدنيا "باب قلة الكلام والتحفظ في النطق"، وسترى ما يطول منه عجبك، وتعرف قدر نفسك والله المستعان.

٢- للإمام ابن القيم كتابات بديعة جدا تتعلق باللسان وحفظه مناسبة لهذا الأصل، ولولا خشية الطول لذكرت فصولا رائعة من كلامه المبثوث في عدد من كتبه من أنفسها ما جاء في كتابه ((الجواب الكافي)) : (٣٧٩- ٣٨٩)، ومما قال رحمه الله : ((ومن العجب : أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ، ومن النظر المحرم وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة ، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً يترل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب ؛ وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ، ولا يبالي ما يقول .وإذا

---

(١)عمدة القاري (١١٠/٢٣)

(٢)الجواب الكافي (ص:٣٧٩)

(٣)ينظر للفائدة مجموع الفتاوى (٧٣٥/١٠).

(٤)أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (١٢٣/٤)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤١٢/٢٢).

(٥)فتح المغيث للسخاوي (٩٣/١).

أردت أن تعرف ذلك فانظر فيما رواه مسلم في صحيحه –ثم ذكر الحديث رقم ٤– فهذا العابد الذي قد عبد الله ما شاء أن يعبده أحبطت هذه الكلمة الواحدة عمله كله .وفي حديث أبي هريرة نحو ذلك ، ثم قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته))[١].

****

(١)الجواب الكافي (ص٣٨١)

المبحث الخامس

مراعاة المخاطبين

من تأمل سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وسيرته رأى أن خطابه صلى الله عليه وسلم يختلف باختلاف المخاطبين وأحوالهم وبيئاتهم وطرائق تفكيرهم، كلٌّ وما يناسبه وينفعه، وقد استفاد من هذا الهدي الصحابة رضوان الله عليهم ففي الأثر الصحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكَذَّبَ اللّه ورسوله ؟))(١)، وفي الأثر الآخر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ((ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة))(٢).

وقد رأيت بعد تأمل لكثير من نصوص السنة النبوية أن مراعاة المخاطبين تكون من نواح عدة :

❖ **مراعاة سن المخاطب:**

ولذا تجد في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم للصغار من المزاح والمداعبة والكلمات المناسبة محاولة لإدخال السرور في قلوبهم ما يناسب عقولهم وسنهم، ومن النصوص الواردة في ذلك:

١- حديث أَنس بن مالك: إِنْ كَانَ النَّبى عليه السلام لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لأخٍ لِى صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ »**(٣)**.

٢- وحديث أمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ . قالت: أَتَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أِصْفَرُ . قَالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: سَنَهْ سَنَهْ**(٤)**. قالت: فَذَهَبْتُ ألعَبُ بخَاتَمِ آلنُّبُوةِ . فَزَبَرَنِي أبي . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: دَعْهَا . ثُمَّ قَالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أبْلِي وَأخلِقِي ، ثُمَ أبْلِي وَأخلِقِي ، ثُمَ أبْلِي وَأخلِقِي**(٥)** .

٣- وحديث أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أنه كان يمشي مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - " فمر بصبيان فسلم عليهم »**(٦)**.

---

(١)أخرجه: البخاري ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (رقم ١٢٧).

(٢)أخرجه مسلم ، في المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (ص ١٤).

(٣)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ(رقم ٦١٢٩)، ومسلم، كِتَاب الْآدَابِ، بَاب جواز تكنية من لم يولد له وكنية الصغير(رقم ٥٦٢٢) والنغير طائر صغير.

(٤)قوله: سَنَهْ سَنَهْ: َهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَن.

(٥)أخرجه: البخاري، كتاب الأدب، بَاب مَنْ تَرَكَ صَبِيَّةَ غَيْرِهِ حَتَّى تَلْعَبَ بِهِ أَوْ قَبَّلَهَا أَوْ مَازَحَهَا (رقم ٥٩٩٣).

-وقوله " أبْلِي وَأخلِقِي " :الْعَرَب تُطْلِق ذَلِكَ وَتُرِيد الدُّعَاء بِطُولِ الْبَقَاء لِلْمُخَاطَبِ بِذَلِكَ ، أَيْ أَنَّهَا تَطُول حَيَاتهَا حَتَّى يَبْلَى الثَّوْب وَيَخْلَق.فتح الباري لابن حجر (٣٧٨/١٦).

(٦)أخرجه: البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم على الصبيان(رقم ٦٢٤٧)، ومسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب السلام على الصبيان (رقم ٥٦٦٥).

٤- وحديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الأنصاري أَنَّ رَسُولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، أُتِيَ بِشَـــرَابٍ ، فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ ؟ فَقَالَ الْغُلاَمُ : وَالله ، يَا رَسُولَ الله ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. قَالَ : فَتَلَّهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فِي يَدِهِ(١).

٥-وحديث أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قال: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ ، فَقُلْتُ : وَالله لاَ أَذْهَبُ ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله صلى الله عليه وسلم ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ ، فَإِذَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي ، قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : يَا أُنَيْسُ ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ(٢) ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ الله . قَالَ أَنَسٌ : وَالله ، لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ : هَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ (٣).

وأنبه أن هناك عددا من البحوث عنيت بتعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الصغار والجوانب التربوية في ذلك(٤).

****

❖ مراعاة ديانة المخاطب:

الناظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يلحظ أنّ الأصل في مخاطبة الكفار حسن الكلام ولينه إلا عند الحاجة وهذا في الحقيقة تطبيق لقوله تعالى: { وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـــنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [العنكبوت: ٤٦]، وَقَوْلِهِ { فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }[طــه : ٤٤] ، مع وجود بعض الأحكام الخاصة بأدب التخاطب مع الكفار كما سيأتي، فمن النصوص المهمة في هذا الباب:

---

(١)أخرجه: البخاري،كِتَاب الْأَشْرِبَةِ ، بَاب هَلْ يَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ فِي الشُّرْبِ لِيُعْطِيَ الْأَكْبَرَ(رقم٥٦٢٠)، ومسلم، كِتَاب الْأَشْرِبَةِ،بَاب اسْتِحْبَابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِهِمَا عَنْ يَمِينِ الْمُبْتَدِئِ (رقم٥٢٩٢).

(٢)ما أروع هذا الموقف وأجمله من قدوتنا صلى الله عليه وسلم !!، ولك أن تتصور –أخي القاري- لو أن أحدنا وقع له هذا مع ابنه ماذا عساه أن يفعل بابنه قولا وعملا؟!

(٣) أخرجه: مسلم، كِتَاب الْفَضَائِلِ ، بَاب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم (رقم ٦٠١٥).

(٤)منها: بحث بعنوان " من معالم المنهج النبوي في تربية الأطفال والناشئة" للدكتور:عادل الشدي منشور ضمن منشورات مركز التربية بجامعة الملك سعود، لعام ١٤٢٤ هـــ.

١. حديث عائشة : « أن يهود أتوا النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : السـام علـيكم ، فقالت عائشة : عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم . قال : " مهلا يـا عائشـة عليـك بالرفق، وإياك والعنف والفحش " قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : " أو لم تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم ، فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في »[1].

٢. عن أَبي هريرة – رضي الله عنه – : أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، قَـالَ : ((لاَ تَبْدَأُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلامِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَـى أَضْـيَقِهِ[2]))[3].

٣. عن أنسٍ – رضي الله عنه – ، قَالَ : قَالَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ))[4].

٤. عن بُرَيْدَةَ بن الحصيب، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ((لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدَكُمْ ، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ، عَزَّ وَجَلَّ))[5].

وفيما تقدم جملة من الفوائد منها:

– أنّ الأصل في مخاطبة الكفار حسن الكلام والرفق إلا عند الحاجة والمصلحة.

–أنهم لا يبدءون بالسلام وقد اختلف أهل العلم في ذلك لاختلافهم في دلالة الحديث وهل هـو وارد في قضية خاصة أو هو حكم عام قال ابن القيم : ((والظاهر أن هذا حكم عام..وقـد اختلـف السلف والخلف في ذلك فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: لَا يَبْدَءُونَ بِالسّلَامِ وَذَهَبَ آخَرُونَ إلَى جَوَازِ ابْتِدَائِهِمْ كَمَا يُرَدّ عَلَيْهِمْ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، وَأَبِي أُمَامَةَ وَابْنِ مُحَيْرِيز ، وَهُوَ وَجْهٌ فِي مَذْهَبِ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ لَكِنْ صَاحِبُ هَذَا الْوَجْهِ قَالَ يُقَالُ لَهُ : السّلَامُ عَلَيْكَ فَقَطْ بِدُونِ ذِكْرِ الرّحْمَةِ وَبِلَفْظِ الْـإِفْرَادِ وَقَالَـتْ طَائِفَةٌ: يَجُوزُ الِابْتِدَاءُ لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ مِنْ حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ إلَيْهِ أَوْ خَوْفٍ مِنْ أَذَاهُ أَوْ لِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا ، أَوْ لِسَبَبٍ يَقْتَضِي ذَلِكَ يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ إبْرَاهِيمَ النّخَعِيّ ، وَعَلْقَمَةَ . وَقَالَ الْأَوْزَاعِيّ : إنْ سَلّمْتَ فَقَدْ سَلّمَ

---

(١)أخرجه: البخاري،كتاب الأدب، بَاب لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا (رقم ٦٠٣٠).

(٢) قال النووي: ((لا يترك للذمي صدر الطريق)) شرح صحيح مسلم (١٤٧/١٤).

(٣)أخرجه: مسلم، كتاب السلام، بَاب النَّهْيِ عَنْ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ(رقم ٥٦٦١).

(٤)أخرجه: البخاري، كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ، بَاب كَيْفَ الرد عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ السَّلَامُ (رقم ٦٢٥٨)،و مسلم،–الموضع السابق–(رقم ٥٦٥٢).

(٥)أخرجه :أبو داود في سننه، كتاب الأدب، بَاب لَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي (رقم ٤٩٧٧)، وأحمـد في المسـند (٣٤٦/٥) ،و"البُخَارِي" ، في (الأدب المفرد) (رقم ٧٦٠)، وإسناده صحيح.

الصّالِحُونَ وَإِنْ تَرَكْتَ فَقَدْ تَرَكَ الصّالِحُونَ))[١].

-بيان كيفية الرد عليهم إذا سلموا وهو قول: وعليكم، غير أنّ ابن القيم نبه على مسألة في قوله: ((فلو تحقق السامع أن الذمي قال له: " سلام عليكم " لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام، أو يقتصر على قوله: " وعليك " ؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: (وإِذَا حيَيْتُمْ بِتَحية فَحيوا بأَحْسنَ مِنهْا أوْ ردوها) فندب إلى الفضل، وأوجب العدل.

ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما أمر بالاقتصار على قول الراد " وعليكم " بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وأشار إليه في حديث عائشة رضي اللّه عنها فقال: " ألا تريني قلتُ: وعليكم، لما قالوا: السامّ عليكم " ؟ ثم قال: " إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم " والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنما يعتبر عمومه في نظير المذكور، لا فيما يخالفه. قال تعالى: (وإِذَا جاؤوكَ حيوْكَ بما لَمْ يُحيك به الله، وَيَقولُونَ في أنْفُسهِمْ لوْلاَ يُعَذبُنا الله بما نَقُولُ) فإذا زال هذا اَلسبب وقال الكتابي: سلام عليكم ورحمة اللّه، فالعدل في التحية يقتضي أن يردّ عليه نظير سلامه. وباللّه التوفيق.))[٢].

- **النهي عن تسويد الكفار** ونحوه من ألفاظ التقدير **قال ابن القيم** : ((وأما أن يخاطب بسيدنا ، ومولانا ، ونحو ذلك ؛ فحرام قطعاً ، وفي الحديث المرفوع : ((لا تقولوا للمنافق: سيّدنا فإن يكن سيدكم فقد أغضبتم ربكم..))[٣].

-وجملة القول أنّه يراعى في مخاطبة الكفار المصالح والمفاسد ولابن القيم كلام جميل في هذا يقول فيه : ((ومدار هذا الباب وغيره مما تقدم على المصلحة الراجحة، فإن كان في كنيته وتمكينه من اللباس وترك الغيار والسلام عليه أيضاً ونحو ذلك تأليفاً له ورجاء إسلامه وإسلام غيره كان فعله أولى كما يعطيه من مال اللّه لتألفه على الإسلام، فتألفه بذلك أولى. وقد ذكر وكيع عن ابن عباس أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب: " سلام عليك " . ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تأليفهم الناس على الإسلام بكل طريق تبين له حقيقة الأمر، وعلم أن كثيراً من هذه الأحكام التي ذكرناها من الغيار وغيره تختلف باختلاف الزمان والمكان والعجز والقدرة والمصلحة والمفسدة. ولهذا لم يغيرهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي اللّه عنه، وغيرهم عمر رضي اللّه عنه. والنبي صلى الله عليه وسلم قال

---

(١)زاد المعاد (٤٢٥/٢).رحم الله سلفنا الصالح ما أوسع صورهم للخلاف، واحترام الآراء، وأفقه نفوسهم للمصالح والمفاسد!.

(٢)أحكام أهل الذمة (١ / ٦٧)

(٣)المرجع السابق (١ / ٢٤٨).

لأسقف نجران: أسلم يا أبا الحارث، تأليفاً له واستدعاء لإسلامه، لا تعظيماً له وتوقيراً))[١].

****

١–مراعاة جنس المخاطب هل هو ذكر أو أنثى:

لا شك أنّ طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل من أوجه عدة كما قال تعالى { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى } [آل عمران :٣٦] ؛ ولذا عني الإسلام بتشريع ما يصلح لكل واحد منهما وفق طبيعته، ومن ذلك آداب المخاطبة مع النساء سواء كنّ زوجات أو قريبات أو أجنبيات ومن تأمل في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد الآداب الراقية في ذلك فهو مع زوجاته وبناته يحادثهن، ويمازحهن، ويشاورهن، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))[٢]، ولذا عني الباحثون بدراسة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه وبناته [٣]، ومن النصوص الواردة في هذا المعنى:

٢– حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَ هَـذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ، قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لا نَرَى[٤].

٣– ومن ذلك جلوسه صلى الله عليه وسلم مع عائشة وسماعه حديث أم زرع الطويل وقوله لها في آخر الحديث : ((كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ))[٥].

٤– عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ امـرأة . فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ : مَرْحَبًا بِابْنَتِي فأجلسها عَنْ يَمِينِهِ . أو عَنْ شِمَالِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أيضا . فَقُلْتُ لَهَا : مَا يُبْكِيكِ ؟ فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لأفشي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم . فَقُلْتُ : مَا رأيت كَالْيَوْمِ فَرَحًا اقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ . فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ : أخصك رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحَدِيثِهِ دُونَنَا ثُمَّ تَبْكِينَ ؟ وسألتها عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لأفشي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى إِذَا قُبِضَ

---

(١)المرجع السابق.

(٢)أخرجه: الترمذي، كِتَاب الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَاب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم ٣٨٩٥) وقال : حسن غريب صحيح، والدارمي في سننه (رقم٢٢٦٥).

(٣) وقد كتبت رسالة ماجستير بعنوان (تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته) في جامعة أم القرى.

(٤)أخرجه البخاري، كِتَاب الأدب، بَاب مَنْ دَعَا صَاحِبَهُ فَنَقَصَ مِنْ اسْمِهِ حَرْفًا (رقم ٦٢٠١)،ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا (رقم ٦٣٠٤)، وفيه ملاطفة الزوجة عند ذكر اسمها.

(٥)أخرجه: البخاري، كِتَاب النِّكَاحِ ، بَاب حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ (رقم ٥١٨٩)، ومسلم، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ بَاب ذِكْرِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ (رقم ٦٣٠٥)

سألتها فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً . وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ . وَلا أراني إِلاَّ قَدْ حَضَرَ أَجَلِي . وَإِنَّكِ أول أهلي لُحُوقًا بِي . وَنِعْمَ السَّلَفُ أنا لَكِ . فَبَكَيْتُ لِذَالِكَ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّنِي . فَقَالَ : ألا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ . أو سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأمة ؟ فَضَحِكْتُ لِذَالِكَ.[1] .

وأمّا النساء الأجنبيات فقد حددت الشريعة من خلال الأدلة التفصيلية من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن خلال الأصول العامة الآداب والقواعد الشرعية التي ينبغي مراعاتها عند مخاطبة النساء، وقد قال تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً)(الأحزاب: ٣٢)،وقال سبحانه (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)[2]، (الأحزاب: ٥٣).

والمتأمل في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يرى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يسلم على النساء ويسلمن عليه، ويحادثهن فيما يحتجنه من سؤال علم أو مشكلة أو غير ذلك، مما يدل على أنَّ الأصل جواز مخاطبة الرجل للنساء الأجنبيات بالضوابط الشرعية من خلال الأدلة المتقدمة[3]، ومن النصوص الواردة في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء الأجنبيات:

- عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ. قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِى أَضْحًى ، أَوْ فِطْرٍ ، إِلَى الْمُصَلَّى ، فصلى ثُمَّ انْصَرَفَ ، فقام فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ. فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، تَصَدَّقُوا، ثم انصرف فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ، تَصَدَّقْنَ ، فَإِنِّى أُرَاكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. فَقُلْنَ : وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ. فقلن له : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال

---

(١)أخرجه البخاري، كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ، بَاب من نَاجَى بين يَدَيْ الناس وَمَنْ لم يُخْبِرْ بِسِرِّ صَاحِبِهِ فإذا مَاتَ أَخْبَرَ بِهِ (رقم ٦٢٨٥). ومسلم ، كِتَاب فضائل الصحابة، بَاب فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلَاة وَالسَّلَامُ، واللفظ له (رقم٦٣١٤).

(٢)إذا كان هذا الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن أطهر النساء فكيف بغيرهنّ؟!، ومن هذه الآية نستفيد قاعدة عظيمة وهي: أنه كلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر فإنه أسلم له وأطهر لقلبه فلهذا من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرا من تفاصيلها أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته ممنوعة وأنه مشروع البعد عنها بكل طريق.

(٣)ومن الضوابط:

أ-عدم اللين في الكلام قال تعالى (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض).

ب- أن يكون بقدر الحاجة..فلا تستطرد في الكلام والحديث.. وكأنها مع أنثى!.

ج- عدم ذكر الأمور الخاصة التي يستحى من ذكرها وتخالف الآداب العامة، والذوق السليم.

: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى. قال : فذاك نقصان عقلـــها ، أوليســـت إذا حاضت المرأة لم تصل و لم تصم ؟ قلن بلى. قال : فذاك من نقصان دينها ، ثُمَّ انْصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ. فَقِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، هَذِهِ زَيْنَبُ تستأذن عليك. فقَالَ : أَيُّ الزَّيَانِب ؟ فَقِيلَ : امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ. قَال : نَعَم ، ائْذَنُوا لَهَا ، فَأُذِنَ لَهَا. فقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّكَ أَمَرْتَنا الْيَوْمَ بالصَّدَقَةِ ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ ، فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ ، زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ بِهِ عَلَيْهِمْ(١).

-**وفي حديث** أم هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ قالت : ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَامَ الْفَتْحِ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ ، قَالَتْ : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : أنا أم هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ . فَقَالَ : مَرْحَبًا بأم هَانِئٍ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ ، قَامَ فَصَلَّى ثماني رَكَعَاتٍ ، مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، زَعَمَ ابْنُ أمي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أجرته : فُلاَنَ بْـــنَ هُبَيْرَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَدْ أجرنا مَنْ أجرت يَا أم هَانِئٍ . قَالَتْ أم هَانِئٍ : وَذَاكَ ضُحًى(٢).

والنصوص في هذا كثيرة ليس هذا موضع التوسع في ذكرها.

٥-مراعاة المخاطبين من حيث الشدة واللين :

وهذا يظهر من خلال أحاديث متعددة وردت في السنة النبوية يظهر منها **مراعاة المخاطبين من حيث الشدة واللين** بسبب اختلاف أحوالهم فمن النصوص التي فيها اللين:

-حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ ، مَا شَـــأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ.ى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْـــهُ ، فَوَالله ، مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي ، قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ(٣).

---

(١)أخرجه: البخاري، كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَاب الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ (رقم ١٤٦٢) وهذا لفظه، ومسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ(رقم ٢٤٣).

(٢)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْجِزْيَةِ، بَاب أَمَانِ النِّسَاءِ وَجِوَارِهِنَّ (رقم٣١٧١)، ومسلم، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَى (رقم ١٦٦٩)

(٣)أخرجه: مسلم، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (رقم١١٩٩).

-حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قام أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: دَعُوهُ وَهَرِيقُوا على بَوْلِهِ سَجْلا من مَاءٍ أو ذَنُوبًا من مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ و لم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ(١).

- حديث أبي أمامة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: إن فتىً شابا أتى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ. فقال: ادْنُهْ فدنا منه قريباً، قال: فجلس. قال: أتحبه لأمك ؟ قال: لا يا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك ؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك ؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك ؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه. قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(٢).

ومن النصوص التي فيها الشدة:

حديث أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ(٣).

٦-مراعاة مترلة المخاطب :

ويظهر هذا من خلال نصوص متعددة ومنها كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم للملوك كما حديث أبي سفيان بن حرب الطويل وفيه : ((بسم الله الرحمن الرحيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى))(٤).

---

(١)أخرجه: البخاري، كِتَاب الأدب، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَالْيُسْرَ عَلَى النَّاسِ (رقم ٦١٢٨) واللفظ له، ومسلم، كِتَاب الطهارة، بَاب وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنْ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ (رقم ٤٢٧).

(٢)أخرجه :الإمام أحمد في مسنده (٥/٢٥٦).

(٣)أخرجه: البخاري، كِتَاب الأدب، بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ اللَّهِ (رقم ٦١١٠)، ومسلم، كِتَاب الصلاة، بَاب أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ (رقم ١٠٤٤).

(٤)أخرجه: البخاري، بدْءِ الْوَحْيِ (رقم٧)، ومسلم، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب كِتَابِ النبي صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إلى الإِسْلامِ (رقم١٧٧٣).

ومنها حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ -هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ- بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، فَجَاءَ فَجَلَسَ..الحديث(١).

٧-مراعاة المكان والوقت والزمن:

يدخل في ذلك عدم تطويل الخطبة، وكذلك عدم الإكثار من الكلام خشية الملل والسآمة ولذا كان الرسول صلي الله عليه وسلم يتخول الناس بالموعظة مخافة السامة عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : كَانَ عَبْدُاللَّهِ(٢)ﷺ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا(٣).

وكذلك مراعاة المكان : ومن أشهر ما يذكر هنا قصة عبدالرحمن بن عوف مع عمر بن الخطاب وفيها قول عبدالرحمن لعمر —رضي الله عنهما-: فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رَعاعَ الناس وغوغاءهم؛ فإنهم هم الذين يغلبون على قُرْبك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيِّرها عنك كل مُطَيِّر، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها؛ فأَمْهِلْ حتى تَقْدُمَ المدينة؛ فإنها دار الهجرة والسنة فَتَخْلُصَ بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها. فقال عمر - رضي الله عنه - :أما والله-إن شاء الله-لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة الحديث(٤).

-مراعاة الظروف والمناسبات المحتفة بالخطاب والمخاطب وهذه واسعة لا يمكن تحديدها مثل وقت الفرح ليس كوقت الحزن، وما يحسن في مجلس العلم والذكر قد لا يحسن في مجلس التبسط، ومراعاة الظروف والمناسبات عامل كبير في التأثير والاستجابة للمخاطب،..وكذلك مراعاة ما يخشى من التحدث به خشية الفتنة وفي هذا يقول ابن حجر رحمه الله : ((وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف في الغرائب ، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم في حديث الجرابين ، وأن المراد ما يقع من الفتن ،

---

(١)أخرجه: البخاري،كتاب الجهاد والسير، بَاب إِذَا نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ (رقم٣٠٤٣)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، بَاب جَوَازِ قِتَالِ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ (رقم١٧٦٨).

(٢) المقصود عبد الله بن مسعود — ﷺ—

(٣)أخرجه: البخاري، كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب الْمَوْعِظَةِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ (رقم ٦٤١١)، ومسلم، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَاب الِاقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ (رقم ٧١٢٩).

(٤)أخرجه: البخاري،كتاب الحدود ، بَاب رَجْمِ الْحُبْلَى مِنْ الزِّنَا إِذَا أَحْصَنَتْ (رقم ٦٨٣٠).

ونحوه عن حذيفة ، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين ؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي ، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة ، وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب))(١).

ومما يذكر هنا مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار يوم حنين كما في حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه، قال : لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم و لم يعط الأنصار شيئا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنّ. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ؟ قال:كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنّ. قال: لو شئتم لقلتم: جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض(٢).

وفي ختام هذا الأصل الكبير أنبه على أمرين:

الأوّل: أنّ لسلفنا في هذا الباب أخبارا جميلة يستفاد منها الدروس والحكم منها قول النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ: سُئِلَ الْخَلِيلُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَبْطَأَ بِالْجَوَابِ فِيهَا قَالَ : فَقُلْتُ مَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كُلُّ هَذَا النَّظَرِ قَالَ : فَرَغْتُ مِنْ الْمَسْأَلَةِ وَجَوَابِهَا وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجِيبَك جَوَابًا يَكُونُ أَسْرَعَ إلَى فَهْمِكَ قَالَ أَبُو قُدَامَةَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ فَسُرَّ بِهِ .

وقول الشَّافِعِيِّ: لَوْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ كَانَ يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ مَا فَهِمْنَا عَنْهُ لَكِنَّهُ كَانَ يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عُقُولِنَا فَنَفْهَمُهُ(٣).

الثاني: أنّ هناك كتابا جيدا عالج هذه الأصل من منظور دعوي للدكتور:فضل إلهي عنوانه (من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين)(٤).

****

---

(١)فتح الباري (١ / ٤٢٤).

(٢)أخرجه: البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٤٣٣٠)

(٣)الآداب الشرعية (١٥١/٢).

(٤)عندي الطبعة الثانية من الكتاب، ١٤١٩هـــ، الناشر إدارة ترجمان الإسلام، باكستان.

المبحث السادس

مراعاة أسلوب عرض الخطاب

من فقه المتحدث مراعاة أسلوب عرض الخطاب وهذا في تقديري لا يقل أهمية عن الخطاب نفسه، بل ربما يكون أوقع في النفس وأشدّ تأثيرا، وكم من حق وعدل ردّ بسبب سوء عرض في الخطاب وعدم الفقه فيه!!.

والمتأمل في سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يلحظ عناية دقيقة بهذا فمما يراعى في أسلوب عرض الخطاب:

❖ -**رفع الصوت وخفضه حسب الحاجة:**

١. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ ويَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.. [١].

٢. عن عبد الله بن عمرو قال : تخلف عنا النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : (ويل للأعقاب من النار) مرتين أو ثلاثاً » وقد بوب الإمام البخاري على الحديث بقوله: باب من رفع صوته بالعلم[٢].

٣. وعن المِقْدَادِ – رضي الله عنه – في حدِيثهِ الطويل ، قَالَ : ((كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لاَ يُوقِظُ نَائِماً ، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ...))[٣].

٤. وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يراعون هذا في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ففي حديث عروة بن مسعود الثقفي الطويل–واصفا إجلال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم– قال: ((وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له))[٤].

---

(١)أخرجه: مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (رقم ٢٠٠٥). وكم نتمنى لو أنّ بعض الخطباء والوعاظ والمرشدين راعوا هذا في طرحهم ..فإن عدم مراعاة هذه الأساليب ربما يسبب الملل والنعاس لدى الكثير!!.

(٢)أخرجه:البخاري، كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم (رقم٦٠) وهذا لفظه،ومسلم ، كتاب الطهارة ، بَاب وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ بِكَمَالِهِمَا (رقم ٥٧٢).

(٣)أخرجه مسلم ، كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَاب إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ (رقم ٥٣٦٢).

(٤)أخرجه: البخاري، كتاب الشروط، ، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (رقم ٢٧٣١).

❖ **–استخدام اليد أو الرأس عند الحاجة:**

١. في حديث جابر المتقدم : ((بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى)).

٢. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: « صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُم الصَّلاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" ثَلاثًا))[(١)].

٣. وعن سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى سَمِيعًا بَصِيرًا }(النساء: ٥٨) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ[(٢)]

٤. وعن أَبِي موسى – رضي الله عنه – ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم : ((المُؤْمِنُ للْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً)) وشبَّكَ بَيْنَ أصَابعِهِ[(٣)].

وقد بوب الأئمة في كتبهم على هذا المعنى في مواضع فمن الأئمة الذين صنعوا ذلك:

– الإمام البخاري في صحيحه في مواضع عدة فمثلا في كتاب العلم عقد بابا يقول فيه : ((بَاب مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ))، **وكذلك في** كتاب الطلاق عقد بابا بعنوان : ((بَاب الْإِشَارَةِ فِي الطَّلَاقِ وَالْأُمُورِ))، وفي كتاب "الأدب المفرد" باب من سلم إشارة".

–الإمام النسائي في سننه في مواضع عدة منها في كتاب الجمعة، بوَّب: باب الإشارة في الخطبة.

وغيرهما من أئمة الحديث مما لا يتسع البحث لذكره.

وقد تحدث التربيون عن أهمية هذا الأسلوب أو ما يسمونه "أسلوب التعليم السيمائي" أو "فن الاتصال بلغة الجسد[(٤)]".

---

(١)أخرجه: البخاري، كتاب كِتَاب الْأَذَانِ ، ، بَاب رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَى الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ (رقم ٧٤٩).

(٢)أخرجه:أبوداود، كتاب السنة، بَاب فِي الْجَهْمِيَّةِ (رقم ٤٧٢٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (رقم ٤٦)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٢٦٤)، وإسناده صحيح.

(٣)أخرجه: البخاري، كتاب كِتَاب الصلاة ، ، بَاب تَشْبِيكِ الْأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ (رقم ٤٨١)وهذا لفظه، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، بَاب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (رقم ٦٥٨٥).

(٤)انظر: الأساليب التعليمية المستقاة من خلال تراجم الإمام البخاري (ص٤٤٠) للدكتور علي الزهراني، نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،(ج١٥، ع٢٧)جمادى الثانية ١٤٢٤هـ.

❖ **طريقة طرح الكلام وأسلوب المخاطبة وتنوع الخطاب، فمن ذلك مراعاة ما يلي:**

-وضوح الكلام وبيانه:

ففي حديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ(١).وفي رواية : ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ))(٢).

وفي رواية : ((كَانَ كَلامُهُ فَصْلاً يُبَيِّنُهُ ، النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لايَسْرُدُ الْكَلامَ كَسَرْدِكُمْ هَذَا ، يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ))(٣).

ومن تبويبات الأئمة في ذلك قول البيهقي في السنن الكبرى " باب ما يستحب من تبيين الكلام وترتيله وترك العجلة فيه"(٤) وذكر الأحاديث الواردة في هذا.

-تكرار الكلام عند الحاجة:

وقد بوّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم " بَاب مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا".

ثم ذكر حديثين :

الأول: حديث أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا(٥).

والثاني: حديث عبد الله بن عمرو المتقدم ذكره.

-السكتة اليسيرة لشد انتباه المخاطب:

-عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: « خَطَبَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: ((أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ

---

(١)أخرجه: البخاري، كِتَاب المناقب ، بَاب صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم ٣٥٦٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق ، بَاب التَّثَبُّتِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ (رقم ٧٥٠٩).

(٢)أخرجه: البخاري-الموضع السابق- تعليقا، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، بَاب مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رقم ٦٣٩٩).

(٣)أخرجه: النسائي في الكبرى (رقم ١٠٢٤٥).

(٤)السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٧/٣).

(٥) (رقم ٩٣).

بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟))..الخ[1].

–وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: « كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ[2].

– ضرب الأمثال، وذكر القصص:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟)) قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَال: ((فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا »[3].

وفي حديث أبي سَعِيدٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((كان في بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فقال له: هل من تَوْبَةٍ؟ قال: لا ، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فقال له رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَبَاعَدِي وقال قِيسُوا ما بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إلى هذه أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ له))[4].

والأحاديث في ضرب الأمثال وذكر القصص كثيرة وقد كتبت فيها بحوث ودراسات كما لا يخفى.

–طرح السؤال لتحريك الذهن واختبار المعلومات:

عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم بابا قال فيه :"بَاب طَرْحِ الْإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ" ثم ذكر حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مَثَل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ " قال فوقع

(١)أخرجه: البخاري، كتاب الحج، بَاب الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى (رقم ١٧٤١)، ومسلم، كِتَاب الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ ، بَاب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ (رقم ٤٣٨٣).

(٢)أخرجه: البخاري، كتاب اللباس، بَاب إِرْدَافِ الرَّجُلِ خَلْفَ الرَّجُلِ(رقم ٥٩٦٧)،ومسلم، كتاب الإيمان، بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا(رقم١٤٣).

(٣)أخرجه: البخاري، كِتَاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ، بَاب الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ كَفَّارَةٌ (رقم ٥٢٨)، ومسلم، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ ، بَاب الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ (رقم ١٥٢٢).

(٤)أخرجه: البخاري، كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار (رقم ٣٤٧٠) واللفظ له، ومسلم، كِتَاب التوبة، بَاب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ (رقم ٢٧٦٦).

الناس في شجر البوادي . قال عبد الله : فوقع في نفسي أنها النخلة . ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول اللّه ؟ قال : " هي النخلة »(١) .

❖ **استخدام الوسائل المتنوعة عند المخاطبة:**

وهذه كثيرة في السنة النبوية ومنها:

١ - **الكتابة والخط**: فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم الكتب إلى الملوك والحكام في عهـــده، يدعوهم إلى الإسلام ونبذ الشرك وعبادة الأوثان.

وربما رسم رسما ليوضح الكلام كما في حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال :خَطَّ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم خَطًّا مُرَبَّعًا ، وَخَطَّ خَطًّا فِى الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ ، وَخَطَّ خُطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِى فِى الْوَسَطِ ، مِنْ جَانِبِهِ الَّذِى فِى الْوَسَطِ وَقَالَ « هَذَا الإِنْسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِى هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا) "(٢).

-**استخدام العصا : ففي الحديث** عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَومٍ جَالِسًا ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ ، قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلاَّ وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ..(٣)

-عرض عين ما يراد الكلام عنه:

-وعن علي - رضي الله عنه - ، قَالَ : رأيتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أخَذَ حَريراً ، فَجَعَلَهُ في يَمِينهِ ، وَذَهَباً فَجَعَلَهُ في شِمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ((إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُور أُمّتي))(٤).

تنبيهان:

١. ما تقدم ذكره بعض أساليب عرض الخطاب في السنة النبوية مما يناسب البحث وحدوده وهي قابلة للمزيد والتفصيل والتقسيم.
٢. أنّ هذه الأدلة تدل على أن من مقاصد السنة النبوية في التخاطب استعمال كل ما يفيد في بيان

---

(١)(رقم٦٢).

(٢)أخرجه: البخاري ، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، (رقم ٦٤١٧).

(٣)أخرجه: البخاري، كِتَاب الْقَدَرِ باب وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (رقم ٦٦٠٥)، ومسلم، كتاب القدر ، بَاب كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ (رقم ٦٧٣٣).

(٤) أخرجه: أبوداود في سننه، كتاب اللباس، بَاب فِي الْحَرِيرِ لِلنِّسَاءِ (رقم ٤٠٥٧)، والنسائي، كتاب اللباس، تَحْرِيمُ الذَّهَبِ عَلَى الرِّجَالِ (رقم ٥١٤٧)، وابن ماجه، كتاب اللباس ، بَاب لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ لِلنِّسَـــاءِ(رقـــم٣٥٩٥)، وإسناده صحيح.

الحقيقة ويوضحها ويساعد على فهمها فما وجد الآن من أساليب حديثة ومتطورة تساعد على الفهم والتفكير والاستيعاب مطلوب شرعا التعامل معها والاستفادة منها.

٣. لم أجد حسب علمي دراسة علمية استقرائية تحليلية تعنى بهذا الأصل من خلال سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهمية الموضوع وتنوعه وطوله-كما رأيت فيما سبق- فآمل من الأخوة الباحثين في السنة وعلومها العناية بهذا الجانب خاصة وأن بعض الباحثين التربويين المعاصرين يشتكي من قلة الكتابة في هذا الموضوع وعدم وجود دراسات شرعية متخصصة تعنى باستنباط هذه الأساليب من المصدر الثاني للتشريع.

نعم هناك بعض البحوث القليلة الجيدة في هذا الموضوع ومنها بحث بعنوان "الأساليب التعليمية المستقاة من خلال تراجم الإمام البخاري على أحاديث كتاب العلم في جامعه الصحيح" أوصل فيه الباحث الأساليب التعليمية المستنبطة خمسة وعشرين أسلوبا، وقد أجاد الباحث وأبدع وفقه الله.

****

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية الشائقة الرائقة في رياض السنة النبوية وما فيها من أحكام وآداب وأخلاق بحثا عن التوجيهات والآداب المتعلقة بأدب التخاطب الذي نحتاجه كل دقيقة في حياتنا أجمل أبرز النتائج والتوصيات.

فمن النتائج:

- ❖ **عناية الأئمة والعلماء بهذا الأدب الرفيع، وبيانه للناس بما يناسب زمانهم وعصرهم،** والغالب أنّ الأئمة يذكرون أدب التخاطب وما يتعلق به في كتاب يعقدونه بعنوان "كتاب الأدب" أو كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ، أو كتاب السلام.
- ❖ **أنّ الباحث يرى أنّ أصول أدب التخاطب في السنة النبوية ترجع إلى ستة أمور:**

الأوّل: بدء المخاطبة والكلام بالسلام

الثاني:لين الكلام وطيبه وانتقاء الألفاظ والجمل الحسنة عند مخاطبة الناس

الثالث: اجتناب الكلام الفاحش والألفاظ السيئة

الرابع: استشعار مسؤولية الكلمة وخطورتها

الخامس: مراعاة المخاطبين

السادس:مراعاة أسلوب عرض الخطاب

وتحت كل أصل أنواع وأقسام تقدم ذكرها.

- ❖ **أنَّ أدب الخطاب وفقهه يحتاج إلى أمرين رئيسين:العلم والعقل وبقدر النقص فيهما يكون النقص** في أدب التخاطب، فحصول الأمرين هو الحكمة التي قال الله يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]
- ❖ **أنَّ الغفلة عن أدب التخاطب تورث جفاء في الطبع، وسوءا في الخُلق، ونقصا في المحبة والمودة** وهذه من أكبر عوامل التفكك في المجتمع المسلم، وكثير من هذه المظاهر نراها في وقعنا المعاصر من قبل كثير من الناس بل ومن بعض الخاصة الذين ينتصبون للحوار والرد والمجادلات والله المستعان.

ومن أهم التوصيات في رأيي:

١. عمل دورات تدريبية في فن التخاطب و أدب الحوار في ضوء السنة النبوية يقوم بها متخصصون في السنة النبوية ولهم إطلاع على المناهج التربوية المعاصرة.
٢. عمل موسوعة لأدب التخاطب في السنة النبوية ومحاولة ربطها بالواقع المعاصر.

٣. الاهتمام بالخطاب الإعلامي وطريقته وأسلوبه مستفيدين من السنة النبوية، ومن المعلوم أنّ الإعلام بأنواعه من أكبر المؤثرين على الجمهور ومع ذلك نلمس تأخرا من قبل المتخصصين في استعمال أساليب عرض الخطاب وطريقته يظهر ذلك من خلال البرامج التي يلقيها بعض المتخصصين.

٤. إقامة برامج بعنوان "فن التخاطب في السنة النبوية" في وسائل الإعلام بأسلوب شائق وجذاب، مع ملاحظة تنوع شرائح المخاطبين.

٥. عمل دراسات علمية أكاديمية لاستنباط أدب التخاطب في السنة النبوية وذلك من خلال استقراء كتب السنة والنظر في تراجم وتبويبات الأئمة ومن ثم الخروج بنتائج دقيقة ومؤصلة لهذا الأدب من خلال كتب الحديث النبوي، وقد لمس الباحث قلة العناية بهذا الموضوع من قبل الجامعات المعنية بدراسة السنة النبوية.

****

فهرس الأحاديث

مصادر ومراجع البحث

أحكام أهل الذمة. لابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق : صبحي الصالح، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م، دار العلم للملايين.

الآداب الشرعية، لابن مفلح، ط٢،١٤٢٧هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة-بيروت-.

الأدب المفرد. للبخاري، تحقيق: علي مزيد، وعلي رضوان، ط١، ١٤٢٣، الناشر مكتبة الخانجي-مصر-.

الأذكار من كلام سيد الأبرار، للنووي، ط١، ١٤٠٥هـ، دار البشائر الإسلامية.

الأساليب التعليمية المستقاة من خلال تراجم الإمام البخاري (ص٤٤٠) للدكتور علي الزهراني، نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،(ج١٥، ع٢٧)جمادى الثانية ١٤٢٤هـ.

أعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق : طه عبدالرؤف، دار الكتب العلمية -بيروت-.

تاريخ مدينة دمشق.لابن عساكر علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ) تحقيق: عمر العمروي، طبع دار الفكر - بيروت -.

التوحيد وإثبات صفات الرب - عز وجل-.لابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الرشد،السعودية.

جامع الترمذي= موسوعة الحديث الشريف

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. لابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق : عامر ياسين، دار ابن خزيمة -السعودية-.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، دار أم القرى، -القاهرة-.

زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ هـ، مؤسسة الرسالة -بيروت-.

سنن ابن ماجه= موسوعة الحديث الشريف

سنن أبي داود= موسوعة الحديث الشريف

سنن الدارمي. تحقيق: فواز أحمد، خالد السبع، ط١٤٠٧،١هـ، دار الكتاب العربي-بيروت-

السنن الكبرى. للبيهقي(ت ٤٥٨ هـ)، دار المعرفة.

السنن الكبرى. للنسائي(ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، الطبعة الأولى،١٤١١هـ، دار الكتب العلمية -بيروت-.

سنن النسائي=موسوعة الحديث الشريف

شرح صحيح مسلم، للنووي،ط١٣٩٢،٢هـ، دار إحياء التراث-بيروت-.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. ترتيب : علي بن بلبان الفارسي(ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق :

شعيب الأرناوط، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هــ، مؤسسة الرسالة-بيروت-.

صحيح البخاري= ينظر موسوعة الحديث الشريف

صحيح مسلم= موسوعة الحديث الشريف

الطرق الحكمية في السياسة الشرعية . لابن القيم (ت ٧٥١ هــ)،)، تحقيق : محمــد حامــد فقي، دار الوطن -السعودية-.

عمدة القاري في شرح البخاري. للعيني، تحقيق: : عبد الله محمود محمد عمر ، ط١، ١٤٢١، دار الكتب العلمية-بيروت-

فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر(ت ٨٥٢هــ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هــ، دار الريان للتراث _القاهرة _.

فتح المغيث شرح ألفية الحديث. للسخاوي(ت ٩٠٢هــ)، الطبعــة الأولى، ١٤٠٣هـــــ، دار الكتب العلمية، _ بيروت _.

في ظلال القرآن. سيد قطب، ط١٠، ١٤٠٢دار الشروق.

مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة.

المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف.محمد خير رمضان،ط١ ، ١٤٢٣ هــ، مكتبة الرشد.

معجم مفردات ألفاظ القرآن. للأصفهاني (ت ٥٠٢هــ)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكــر، بيروت.

موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، إشراف الشيخ صالح آل الشيخ، ط٣ ،١٤٢١هـــــ، دار السلام-السعودية-.

النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير(ت ٦٠٦ هـــــ)، تحقيــق : الــزاوي ومحمــود الطناحي، المكتبة العلمية -بيروت

فهرس الموضوعات

ملخص بحث

أدب التخاطب في ضوء السنة النبوية –أصول وضوابط–

هذا البحثُ يهدفُ إلى بيانِ جانبٍ من جوانب القيم الاجتماعية في السنة النبوية وهو توجيهات السنة في أدب التخاطب.

وقد بين الباحث في المقدمة أهمية الموضوع وحاجة الناس إليه.

ثم بين في التمهيد معنى التخاطب وعناية أئمة الحديث في مصنفاتهم بهذا الأدب الرفيع ودقة استنباطهم لأدب التخاطب في السنة النبوية مع ذكر أبرز الكتب التي عنيت بهذا الموضوع.

ونبه الباحث إلى سعة الموضوع وتشعبه ولذا كان التفصيل فيه والخوض في دقائقه وتفريعاته لا يناسب هذا البحث الدقة والإيجاز ، ومن هنا وضع الباحث أصولا وضوابط ووسائل ترجع إليها مقاصد السنة النبوية في باب أدب التخاطب مع الإشارة إلى أهمية هذا الأصل وما يدخل تحته من مسائل ومباحث وأنواع وذكر ما يتيسر من أمثلة وأدلة تدل عليه من غير توسع، وعقد لكل أصل مبحثا وهي:

المبحث الأوّل: بدء المخاطبة والكلام بالسلام

المبحث الثاني:لين الكلام وطيبه وانتقاء الألفاظ والجمل الحسنة عند مخاطبة الناس

المبحث الثالث: اجتناب الكلام الفاحش والألفاظ السيئة

المبحث الرابع: استشعار مسؤولية الكلمة وخطورتها

المبحث الخامس: مراعاة المخاطبين

المبحث السادس:مراعاة أسلوب عرض الخطاب

وختمتُ البحث بذكر أبرز نتائجِ البحث، وتوصيات مقترحة تخدم هذا الجانب من السُّنّة النَّبويّة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.